بسم الله الرحمن الرحيم

∞∞∞

تم رفع هذه الرسالة بواسطة / حسام الدين محمد مغربي

بقسم التوثيق الإلكتروني بمركز الشبكات وتكنولوجيا المعلومات دون أدنى مسئولية عن محتوى هذه الرسالة.

ملاحظات : لا يوجد

جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

الدراسات العليا

قسم الدراسات الأدبية

الرمز الصوفي في شعر العصر العثماني في مصر والشام

قراءة سيميائية

دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

نهى عبد الرازق محمد حسين

إشراف

الأستاذ الدكتور	**الأستاذ الدكتور**
أبو اليزيد الشرقاوي	**عبد الحميد مدكور**
أستاذ الأدب العربي	**أستاذ الفلسفة الإسلامية**

بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

تناولت في دراستي هذه موضوع «الرمز الصوفي في شعر العصر العثماني في مصر والشام قراءة سيميائية »، ولم يكن ذلك الاختيار وليد المصادفة؛ فالسيميائية في أدق مفاهيمها (علم موضوعه العلامة)، والمنهج السيميائي هو قراءة منظمة هدفها الوصول إلى تلك العلامة، والوقوف عند عتباتها بقصد الكشف عن طاقاتها الكامنة، ومخزونها الفاعل في المتون الأدبية، وغيرها من خلال العلاقة بين الدال والمدلول.

وأدب المتصوفة (شعرًا ونثرًا) في كل العصور يكاد يجهر بالإشارات والرموز التي نحن في حاجة إلى معرفة ماذا تعني؟ ودورها في النَّص؟ فالرمز والعلامات وجهان للغة المتصوفة.

وكان وقع اختياري على الشعر في العصر العثماني أيضًا بالتحديد؛ لأنَّ الأدب في العصر العثماني (شعرًا ونثرًا) في حاجة إلى دراسة واهتمام من قبل الباحثين، فهو لم يحظ بالاهتمام نفسه الذي حظى به الأدب في العصور السَّابقة.

يوضح الباحث أحمد حامد حجازي في مقالة له مرفوعة على الشبكة، وهي بعنوان «إنصاف أدبنا العربي في العصر العثماني» أنَّ سبب ذلك مقولة جورجي زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» عن الأدب العربي في العصر العثماني في مصر وسائر العالم العربي:

«أصاب الشعر ما أصاب سائر الآداب العربية في هذا العصر من الضعف والانحطاط لِمَا استولى من الجمود على القرائح، وتوالى على الأمة من الذل في تلك الفترة المظلمة، وأصبح الكاتب أو الشاعر إنَّما يهمه تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع، حتى خرجوا بذلك عن الذوق المألوف، فأضاعوا أوقاتهم فيما لا فائدة فيه من

الصنائع اللفظية، فذهبت المعاني ضحية تلك الأساليب الباردة، ويشبه ذلك مبالغة أهل زماننا هذا بتزيين ظواهر المرأة بالأزياء الجديدة حتى خرجوا بها عن الغرض الأصلي من خلقتها، فأصبحت مثل سائر أدوات الزينة، إنَّما يلتفت إلى شكلها الخارجي، وكثيرًا ما جرَّ اجتهادها في ذلك إلى الوقوف في سبيل وظيفتها الطبيعية في جسم العمران، وهكذا اللغة في العصر العثماني بعد أن كان المراد بالألفاظ التعبير عن المعاني وتصوير الأفكار؛ اشتغل الكُتَّابُ بتنميق الألفاظ وأضاعوا المعاني»[١].

وأشار الباحث أحمد حامد حجازي أيضًا في مقالته إلى بعض من سار على نهج جورجي زيدان من الكتاب الذين تعرضوا لهذا العصر كالدكتور شوقي ضيف في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، ومسعد بن عيد العطوي في كتابه «الأدب العربي الحديث» وغيرهما الكثير، فترسخت هذه الأفكار في أذهان الباحثين وصاروا يبتعدون خائفين عن هذا العصر، غير أنَّ هناك دراسات قليلة كرست جهدها لتدافع عن هذا العصر وشعرائه كـ «الأدب المصري في ظل الحكم العثماني» لمحمد سيد كيلاني، و«الشعر العربي بمصر في العصر العثماني» للدكتور محمد صقر، وكتاب الدكتور عُمَر موسى باشا «تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني» فقد ذكر في مقدمته أنَّه عمل عليه طوال عشرين عامًا[٢]، و«الشعر في كتب الجبرتي التاريخية» لنصر الدين صالح.

وهناك أيضًا دراسات أخرى لم يشر إليها الباحث أحمد حامد حجازي دافعت عن هذا العصر، منها «الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية» للدكتور عبد اللطيف حمزة.

وبالرجوع إلى كتاب محمد سيد كيلاني نجده مدافعًا عن الأدب في هذا العصر قائلًا: «إن الأدب لا يمكن أن ينعدم لأنَّه وليد العواطف، والعواطف موجودة في كل زمان ومكان، لذلك كان من الخطأ أن نربط بين تأخر الصناعات وبين الأدب فنحكم

---

[١] تاريخ آداب اللغة العربية، (٢٧٣/٤).

[٢] تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، عُمَر موسى باشا، ص ٦.

عليه بالانحطاط قياسًا على انحطاط العلوم. وكذلك من الخطأ أن نتخذ لغة امرئ القيس أو المتنبي أساسًا للحكم على شعراء العصر العثماني، وذلك لأنَّ هذا العصر تحكّم فيه طابع خاص يختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة ولكل عصر طابعه، ولكل بيئة معالمها ومميزاتها، والأدباء إنَّما يعبرون بلغة العصر الذي يعيشون فيه. فهل نحتقر الأدب الشعبي لأنَّه لم يتخذ لغة المتنبي في أساليبه وعباراته؟؟»[1].

وكلا الطرفين مُبَالِغٌ فيما قال فلا الأدب كان بالصورة المزرية التي رآها عليه زيدان، ولا هو بدافع الحماس وتبني نظرية المؤامرة كان مزدهرًا لكن صرفنا عنه من صرفنا، والإلمام بالحقيقة يقتضي من هؤلاء وأولئك التفطن إلى أنَّ الحقبة العثمانية طويلة ممتدة وما ينطبق على أولها من أحكام قد لا يصح انطباقه على آخرها.

والعصر العثماني وصلتنا منه الآلاف من الكتب التي مازالت مخطوطة، والإلمام بالحقيقة الكاملة التي نطمئن إليها يقتضي أولًا أن نكشف عن جواهر مكنوناته وننشرها وهذا الأمر يحتاج من دارسي الماجستير اختيار المخطوطات منه لتحقيقها ودراستها والحكم عليها.

ودراستي هذه إنَّما هي واحدة من الدراسات التي تحاول جذب الاهتمام لدراسة الأدب في هذا العصر، وذلك من خلال جانب مهم فيه هو الرموز الصوفية التي تناولها المتصوفة في شعرهم، وقد بنيتها على مقدمة وفصل تمهيدي وبابين وخاتمة.

الفصل التمهيدي: تحدثتُ فيه عن:

أولًا: حال الشعر الصوفي في العصر العثماني في مصر والشَّام.

ثانيًا: أعلام الشُّعراء المتصوفة في العصر العثماني في مصر والشَّام، الوارد ذكرهم في هذه الدراسة.

الباب الأول: الرَّمز الصوفي والسيميائية

قسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: ما الرمز الصوفي، ودوافع لجوء الشعراء إليه؟

---

[1] الأدب المصري في ظل الحكم العثماني، ص٥٦.

الفصل الثاني: السيميائية (المفهوم، وكيفية قراءة النَّص الأدبي سيميائيًّا)

الباب الثاني: سيميائية الرموز الصُّوفية في شعر العصر العثماني في مصر والشام

قسمته إلى أربعة فصول بحسب الرموز التي وجدتها في الشعر الذي وقفتُ عليه في هذا العصر:

الفصل الأول: رمز المرأة (السيميائية الغزلية).

الفصل الثاني: رمز الخمر.

الفصل الثالث: رمز الطبيعة (السيميائية الحية).

الفصل الرابع: الحروف.

وأخيرًا: خاتمة الدراسة:

ضمنتها ما توصلت إليه من نتائج حول ما الذي بين السيمياء والرمز من علاقة، وما العلاقة بين صوفي العصر العثماني وأقطاب الصوفية السابقين، وما الذي أضافه اللاحق على السابق، وأهم خصائص الأسلوب الصوفي للشعراء المتصوفة.

يليها قائمة بالمصادر والمراجع العربية، والمترجمة، والرسائل الجامعية، والمجلات والدوريات المستخدمة في ذلك البحث.

أهم الدراسات السَّابقة التي أفادتني كثيرًا:

على الرغم من أنَّ الرموز الشعرية في الأدب الصوفي شغلت الكثير من الباحثين، وأُلِفَت الكتب والرسائل العلمية حول هذا الموضوع، فإنَّ:

[١] كتاب «الرَّمز الشِّعري عند الصوفية» للدكتور عاطف جودة نصر، والذي تقدم به للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس في مايو (أيار) ١٩٧٧م، تناول فيه الرُّموز الشِّعرية في الأدب الصوفي مثل: الرَّمز الأسطوري، ورمزية اللغة، ورمز المرأة، ورمز الطبيعة، ورمز الخمر، ورموز الأعداد والحروف، والرموز المسيحية.

لكنه تحدث عن أنواع الرموز في الأدب الصوفي عامة، ولم يتناول أحدًا من

الشعراء العثمانيين سوى النابلسي، وكان ذلك في إطار شرحه لديوان ابن الفارض ومعارضته لبعض قصائده، إلا أنني لا أنكر استفادتي الكبيرة منه في بحثي وخاصة في فهم أنواع الرموز في أدب الصوفية.

[٢] كتاب «الرَّمز الصوفي» لأسماء خوالدية، والذي تناولت فيه الرَّمز الصُّوفي، وطرائق الرَّمز عند الصوفية (الأسطورية، الحروفية، العددية، العبادات، الصور، الخمر، المرأة).

وبعض الدراسات التي ساعدتني في الدخول إلى بوابة السيميائية، والتي من أهمها:

[١] «الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي» لغريب اسكندر، والذي تناول فيه تاريخ التفكير السيميائي، وبيان وجهي العلامة (الدَّال والمدلول).

[٢] «التحليل السيميوطيقي للنص الشعري» لجيرارد ولدال، نقله إلى العربية عبد الرحمن بوعلي.

[٣] «أسس السيميائية» لدانيال تشاندلر، ترجمة: طلال وهبة، هذا الكتاب يُعدُّ أفضل مقدمة للسيميائية فلقد نجح تشاندلر في أن يصف المفاهيم الصعبة بوضوح، كما أنَّه كتاب مفيد جدًّا، ليس فقط بالنِّسبة إلى الذين يريدون أن يعرفوا ما السيميائية، لكن أيضًا بالنِّسبة إلى الذين يهمهم أن يفهموا كيف أنَّ اللغة، أو أي منظومة إشارات أخرى ليست أبدًا وسيلة تواصل حيادية.

[٤] «مدخل إلى السيميوطيقا» كتاب يضم عددًا من المقالات المترجمة عن علم العلامات (السيميوطيقا) ترجمة سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد.

وهذه المقالات المترجمة تضم أسس السيميوطيقا، وتصنيف العلامات، وسيميوطيقا الأدب واللغة والسينما والثقافة والفن، استطعت من خلالها فهم علم العلامات جيدًا.

إلا أنني لم أقف على دراسة سابقة تطرقت لموضوع بحثي، ودرست هذا الرمز الصوفي من منظور سيميائي أو منظور آخر عند الشعراء في مصر والشام في

العصر العثماني، وسبب ذلك أشرنا إليه سابقًا.

الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث:

-كان من أبرز صعوبات هذه الرسالة قلة مصادرها، فمعظم التراث الأدبي لهذا العصر – وخاصة دواوين الشعراء- مازال مخطوطًا متفرقًا في مكتبات العالم يحتاج إلى من يكرسون جهودهم للكشف عن مكنوناته وجواهره.

-قلة الدراسات بل ندرتها فلم يحظ أدب هذا العصر، وبالتحديد الشعر بالدراسة والتحليل.

– طبيعة الرموز الصوفية الصعبة والغامضة، وأيضًا صعوبة المنهج، بل لا أبالغ إذا قلت دراسة غامضة بمنهج غامض.

لذا أتمنى من الله عزوجل أن أكون وفِقْتُ ولو بعض الشيء في كتابة هذه الدراسة الصعبة.

***

توصيف المادة العلمية

شعراء الشام	عدد الأبيات
علي بن عطية الحموي (ت:٩٣٦هـ)	١٠
عبد الرحمن الموصلي الشيباني (١١١٨هـ)	٢٥
عبد الغني النابلسي (ت:١١٤٣هـ)	٢٨٧

شعراء مصر	عدد الأبيات
أبو الحسن البكري (ت:٩٥٢هـ)	٢٠
أبو المواهب محمد بن محمد البكري (ت:١٠٣٧هـ)	٩
أحمد بن زين العابدين البكري (ت:١٠٤٨هـ)	٤٠
أبو الفضل الوفائي الشاذلي (ت:١٠٨٠هـ)	٧
محمد بن رضوان السيوطي (ت:١١٤٠هـ)	٥
أبو السرور أحمد بن عبد المنعم البكري (ت:١١٥٣هـ)	٩
مصطفى بن كمال الدين البكري (ت:١١٦٢هـ)	٢٢
محمد الرشيدي المعصراوي (ت:١١٧٧هـ)	٦
عمر اليافي (ت:١٢٣٣هـ)	٤٤

كلمة شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشُّكر والتقدير إلى مشرفي الكريمين الأستاذ الدكتور أبو اليزيد الشرقاوي أستاذ الأدب العربي، والأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور أستاذ الفلسفة الإسلامية على تفضلهما بالموافقة على الإشراف على البحث، وبذلهما الجهد والوقت في قراءته وتصويب أخطائه وتوجيهي وإرشادي.

حقًّا كلمات الشُّكر والتقدير لا تفي بحقكما ولا تعبر عمَّا أحمله في قلبي تجاهكما، فالله العلي القدير أسأل أن يجازيكما عنِّي خير الجزاء.

كما أتوجه بشكري وتقديري إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور جلال أبو زيد الأستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس، والأستاذ الدكتور حامد الشيمي الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة على تفضلهما بمناقشة هذه الدراسة.

الباحثة

الفصل التمهيدي

أولًا: حال الشعر الصوفي في العصر العثماني في مصر والشَّام

ثانيًا: أعلام الشُّعراء المتصوفة في العصر العثماني في مصر والشَّام

أولًا: حال الشعر الصوفي في العصر العثماني في مصر والشَّام

الدولة العثمانية إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل عام ١٢٩٩م وانتهت عام ١٩٢٣م، وتُعدُّ أطول الدول الإسلامية عهدًا، وبلغت ذروة مجدها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وامتدت أراضيها لتشمل أجزاء كبيرة من أوربا وآسيا وأفريقيا وشكلت قوة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وقد توالى على عرش السلطة فيها ستة وثلاثون سلطانًا.

وقد دخلت مصر والشام تحت الحكم العثماني منذ أن هزم السلطان سليم الأول[١] جيش المماليك في معركة مرج دابق (شمال حلب بسوريا) يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥١٦م/٩٢٢هـ، وظلَّت مصر والشام تحت حكم العثمانيين حتى أكتوبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ بعد انسحاب العثمانيين منهما في أعقاب الثورة العربية الكبرى والحرب العالمية[٢].

أمَّا بالنسبة للحياة الفكرية في هذا العصر «فكانت استمرارًا طبيعيًّا للعصر المملوكي، ولكن لا بُدَّ لكُلِّ عصرٍ من مميزات تميزه من غيره»[٣].

كما أنَّ « اللغة العربية كانت لها مكانة خاصة في حضارة الدولة العثمانية، فرغم أنَّ اللغة التركية كانت اللغة الرسمية للدولة، فإنَّ العربية كانت لغة سائدة ومنتشرة في المدارس والمجامع التعليمية عند العثمانيين، ولم تتنح اللغة العربية عن المكانة الأولى في المؤسسات التعليمية العثمانية إلا مع إلغاء النظام التربوي العثماني عندما صدر قانون ١٩٢٣م»[٤].

---

[١] هو السلطان سليم الأول تاسع سلاطين آل عثمان، من أبناء بايزيد الثاني، ولد عام ٨٧٢هـ، ويُعرف في التَّاريخ باسم ياوز سلطان سليم أي الشجاع، وقد حكم من ٩١٨هـ حتى ٩٢٦هـ، وتوفي فجأة في السابع من شوال لسنة ٩٢٦هـ.

[٢] راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني لمفيد الزيدي، ص٣.

[٣] راجع: تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني لعمر موسى باشا، ص٣٧.

[٤] راجع: العثمانيون في التاريخ والحضارة لمحمد حرب، ص٥٦.

وبعد الفتح العثماني للشام ومصر زاد اهتمام الأتراك العثمانيين بالأدب شعرًا ونثرًا، فكثر الأدباء والشعراء كثرة كبيرة، ونفرٌ من سلاطين آل عثمان قد عرفوا العربية، ومنهم من نظم فيها شعرًا أيضًا[١].

«وقد تأثرت اللغة التركية العثمانية بالعربية والفارسية وآدابهما، وأخذت منهما كلمات كثيرة جدًّا، كما حذا الشعراء الأتراك العثمانيون حذو الشعراء الفرس والعرب، وقلدوهم في منظوماتهم الشعرية بمختلف أنواعها»[٢].

كما ظهر الاهتمام بالأدب العربي ببلاد الشام ومصر وغيرهما من الأقطار العربية دون تفريق بين بلد وآخر، ولوحظ من خلال هذا أيضًا الاهتمام بالتحدث عن كل بلد على حدة، كالشهاب الخفاجي تحدث عن محاسن أهل الشام ونواحيها، ومحاسن العصريين من أهل المغرب، وذكر مكة ومن بحماها، ومصر وأحوالها، وذكر من لقيه فيها، ووصف مصر، وذكر ما اتفق له فيها، وترجم لمن لقيه، وذكر محاسن شعراء دمشق ونواحيها، ونوادر أدباء حلب، ونبهاء مصر في كتابه «ريحانة الألبا».

كما ظهرت الأسر الأدبية التي توارثت الأدب والفقه وغيرهما، وقد أحصى المحبي في كتابه «نفحة الريحانة» في الباب الثاني الذي عقده في محاسن شعراء دمشق ونواحيها؛ بعض الأسر المشهورة بالعلم والثقافة، فذكر منها بيت العماد[٣]، وبيت النابلسي[٤]، وبيت الفرفور[٥]، وبيت القاري[٦]، وبيت المحبي[٧].

وفي العصر العثماني أيضًا «ظهر الأدباء الذين يجمعون بين الشعر والنثر جريًا

---

[١] راجع: معالم الأدب العربي في العصر الحديث لعمر فروخ، (٧/١)، (١٧/٢).

[٢] عمر موسى باشا في تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، ص٣٩ نقلًا عن قواعد اللغة التركية لعبد الله طرازي ص٦.

[٣] نفحة الريحانة، (٩٣/٢).

[٤] نفحة الريحانة، (١٣٢/٢).

[٥] نفحة الريحانة، (١٦٠/٢).

[٦] نفحة الريحانة، (١٧٢/٢).

[٧] نفحة الريحانة، (١٨١/٢).

على ما كان مألوفًا في العصر المملوكي الذي سبقه، ولم يقتصر الأمر عند الأدباء على الجمع بين الشعر والنثر، وإنما نجد أنَّ الشاعر الموهوب يجب أن يكون واسع الثقافة، وأن يأخذ من كل علم بطرف، لأنَّ الشعر يوجب له العز والشرف»[١].

وقد ظهر في هذا العصر الكثير من الشعراء الذين وردت تراجمهم ومقتطفات من شعرهم في بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس(٩٣٠هـ)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر لمحي الدين عبد القادر العيدروس (١٠٣٨هـ)، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (١٠٦١هـ)، وريحانة الألبا للشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (١١١١هـ)، وعجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي (١٢٤٠هـ).

كما شهد هذا العصر تطورًا في الشعر العربي « بَيْدَ أنَّ الشعراء لم يقتصروا على المعاني والأغراض التقليدية، وإنَّما أدخلوا بعض الاتجاهات الجديدة في صنع الألغاز والأحاجي والمعميات، حتى أصبح لكل فن منها استعماله الخاص المميز»[٢].

وظهرت تيارات شعرية جديدة، بعضها كان ثمرة تطور لأغراض سابقة، أو كان ابتكارًا لأغراض مستحدثة اقتضتها الحياة الجديدة، وتطورت المدائح النبوية، وظهرت البديعيات، وبلغت القصائد الصوفية قمة نضجها الفني، فرأينا مثلًا دواوين خاصة في التصوف التزم فيها الشعراء التعبير عن وحدة الوجود أو الوحدة المطلقة[٣].

أمَّا عن الحركة الصوفية في هذا العصر فقد استمر التصوف في الانتشار بشكل كبير جدًّا مقارنة بالعصور السابقة، حيث كان للطرق الصوفية دورٌ بارز في إدارة شئون الدولة وتأسيسها ، كما تعددت فرق المتصوفة، وتباينت طرقهم ومذاهبهم، وكان شيوخ الطرق يعملون على نشر الإسلام وإعداد المسلمين للجهاد، وقد تقلد الصوفية مناصب كبيرة في الدولة، ومن أشهر الطرق التي كان لها دور بارز في الدولة

---

[١] راجع: تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني لعمرو موسى باشا، ص٧٧.

[٢] السابق، ص٧٨.

[٣] السابق، ص٨٥.

العثمانية الطريقة النقشبندية، والطريقة الرفاعية، والطريقة المولوية، والطريقة البكتاشية، والطريقة الخلوتية التي شاعت من بين جميع الطرق الصوفية، كما عظم أمر الدراويش وازدادوا فى العالم الإسلامى، وقد ساعد السلاطين العثمانيون على التصوف، فالمعروف عن السلطان مراد الأول (ت:٧٩١هـ) أنه «كان له في علم التصوف المهارة الكلية»[١]، وكانوا مرتبطين بشيوخ الصوفية وبالطرق والتكايا، انتشرت الزوايا والخوانق والربط في كل مكان، وكان لأهل التصوف دورهم في الدفاع عن الإسلام، وكان لهم نفوذ على الهيئة الحاكمة في الدولة ورقابة سياساتها.

يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي»: « ولقد كثرت الطرق الصوفية المخلصة التى تعنى بالنسك والعبادة، وإن كان من الحق أنه أساء إلى هذه الطرق الدراويش المتسولون الذين كانوا يتكففون الناس. وهم دراويش رحّل كانوا يعيشون معيشة مطلقة، وقد يتحللون فيها من الفرائض الشرعية. وبدون ريب كان بينهم من يتخذ الدروشة خداعًا للناس ووسيلة إلى البطالة. ومع ذلك لا نعدم أن نجد من حين إلى حين صوفيًّا حقيقيًّا يحاول النفوذ إلى معرفة أسرار الكون وخفاياه والتخلص من عالم الحس المادى للفناء فى عالم الحقيقة والحب الإلهى، على نحو ما نجد عند عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ للهجرة وقد تقلب بين الطرق الصوفية وعكف على دراسة أئمة التصوف الفلسفى وغير الفلسفى، ولقى كثيرًا من شيوخ الصوفية فى لبنان وفلسطين ومدن الشام والحجاز ومصر، وكان شاعرًا كما كان ناثرًا»[٢].

فكان طبيعيًّا أن تنعكس ظاهرة التصوف على الأدب وخاصة الشِّعر لِمَا يجمع بينه وبين الشعر من علاقات وروابط جديّة، فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية على حدٍّ سواء هما في حقيقتهما تجربة حياتية ونفسية شعورية تكشف عن واقع الحياة اليومية وما تبلور عنها من مشاعر في وجدان الشاعر.

«فالصوفي هو شاعر سواء نظم القول أو نثر، فأداة الإدراك عنده هي نفسها

---

[١] راجع: خلاصة الأثر للمحبي، (٣٤١/٤).

[٢] راجع: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، (٥٩/٦).